الأوضاع الاقتصادية للمرأة العربية قبل الإسلام في وسط شبه جزيرة العرب

د. قيس حاتم هاني الجنابي
قسم التاريخ/ كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل

المقدمة

يحاول الكثير من الكتاب أن يرسموا صورة سوداوية لحالة المرأة العربية قبل الإسلام، فهم يشيرون إلى صور لمعاملة المرأة عند العرب قبل الإسلام، ومنها أن العرب في تلك المدة لم يكونوا يورثون المرأة، لأنهم لم يروا للمرأة حقاً في الميراث، بل جعلوها تورَّث مع ما يورَّث، أي أن الولد يمكن أن يرث عن أبيه نساءه، بل ويمكنه أن يتزوجهن، ويقولون أن العربي لا ينظر إلى زوجته إلا على أنها خادمة في بيت زوجها تنجب له الأولاد، كما لم يكن لها حرية اختيار الزوج، وأحيانا يذهب الزوج بزوجته إلى رجل عرف بالشجاعة والمروءة ليجامعها فتحمل منه، وكان هذا يعرف بنكاح الاستبضاع، بل أن بعض الرجال كانوا يقامرون على زوجاتهم، وللزوج حرية مطلقة في طلاق زوجته، أي له أن يطلقها ثم يرجعها ثم يطلقها وهكذا، فضلاً عن ظاهرة وأد البناتإننا لا ننكر صحة بعض ما ورد منها آنفاً ولكن هؤلاء الكتاب يأخذون ما جرى من حالات فردية في وسط شبه جزيرة العرب ويستشهدون بها ويعممونها على كل الجنس العربي، وهذا غير صحيح إطلاقاً، فضلاً عن أن هؤلاء الكتاب أنفسهم يشيرون إلى العربي بالكثير من الصفات الحميدة التي كان يتمتع بها قبل الإسلام، ولعل في مقدمتها غيرة الرجل العربي على نساءه، وتوفيره الحماية اللازمة للمرأة، بل أنه كان يثأر إذا ما امتهنت كرامة امرأته، أما الأمثلة التي ساقها هؤلاء الكتاب دليلاً على انحطاط مكانة المرأة العربية فهي حالات فردية تركزت في وسط شبه جزيرة العرب وعند أسر فقيرة في بعض القبائل، وبرزت بين العرب الكثير من النساء اللواتي تميزن بشتى المجالات السياسية والاقتصادية، بل أن بعضهن وصل إلى مرتبة الملوكية كبلقيس وزنوبيا، ونحاول في هذا البحث إبراز أثر المرأة العربية في الجوانب الاقتصادية كالتجارة والزراعة والرعي وغيرها، مركزين على وسط شبه جزيرة العرب على اعتبار أن الكتاب الذين حاولوا أن يحطوا من مكانة المرأة العربية قبل الإسلام استشهدوا بأمثلة من هذه المنطقة.

تمهيد

كانت المرأة العربية قبل الإسلام تحظى بمكانة اجتماعية مرموقة، إذ كان الشعراء يفتتحون قصائدهم بوصف محاسن المرأة في لبسها وحليها وطيوبها، كما داعبوا عواطفها المتجلية بجمال النفس وحلو المحامد، وكان للمرأة العربية في تلك الحقبة حرّية اختيار الزوج، مع ضرورة الإشارة إلى أن هذا الامتياز كان مقصوراً على طبقة الأحرار ومشروطاً بحضور الوالد، كما أن الزوجة كانت تترك زوجها إذا ما أساء معاملتها، وكُنَّ بعض النسوة المخلصات اللواتي تميزن بالشجاعة يستشفعنَ لأزواجهُنَّ إذا وقعوا في الأسر في محاولة منهنَّ لإعادة الحرية لأزواجهن، بل أن كثيراً ما رافقت النساء أزواجهن في غزواتهم، فكنّ يشجعَنَّهم بأناشيدهن، ويندبن من يقتل منهم، وتشير المصادر التأريخية أيضاً إلى أن أكثر ما كان يبغض المرأة العربية قبول عشيرتها للدية.

وتسجل المصادر التأريخية حضور ثقافي متميز للمرأة العربية، ولعل من أبرز تلك النساء الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الشريد) وما قالته في سوق عكاظ من أشعار نافست بها كبار الشعراء العرب، فكانت ممن حضر مجلس النابغة الذبياني الذي كان يقام في سوق عكاظ، وهذا المجلس من أهم مجالس الشعر إذ ينشد فيه شعراء العرب أفضل ما لديهم من قصائد، ويجري فيه تحكيم لاختيار أفضل القصائد، فأنشد حسان بن ثابت والأعشى والخنساء، وشهد النابغة الذبياني بالتفوق لخنساء وعدها أفضل من انشد شعراً في مجلسه بعد الأعشى[1]، إذ أنشدته رثاء لأخيها صخر بقولها:-

وان صخراً لمولانا وسيدنا ... وان صخراً إذا نشتو لنحار
وان صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأســه نار
لم تره جارة يمشي بساحتها ... لريبة حين يخلي بيته الجار[2]

فقال لها النابغة: ((يا خنيس والله لولا أن أبا بصير [يقصد الأعشى] أنشدني آنفا لقلت: إني لم أسمع مثل شعرك وما بها ذات مثانة أشعر منك))[3].

---

[1] النميري، عمرو ابن شبة (ت 262هـ/876م)، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، قم، 1410هـ، ج1، ص291 ().

[2] ابن طيفور، أبي الفضل بن أبي طاهر (ت 380هـ/990م)، **بلاغات النساء**، مكتبة بصيرتي، قم، (د.ت)، ص183 ().

[3] النميري، **تاريخ المدينة المنورة**، ج1، ص291 ().

إن أهم مصادر ثروات النساء جاءت عن طريق الصداق والميراث، في حين هناك نساء عَمَلَنَ في التجارة وامتلكن ثروات ضخمة جلبتها لهن أعمالهن التجارية[4]، وتجدر الإشارة إلى ضرورة التمييز بين المهر والصداق، لأن المهر يدفع إلى الأب أما الصداق فهو الذي كان يدفع إلى المرأة، وقد وحَّدَ الإسلام بينهما[5]، ونلاحظ أيضاً أن بعض النساء كانت تمتلك العصمة بيدها أي أن أمر الطلاق بيدها، لذا نجد أن أموال الصداق شكلت في مثل هذه الحالات عند بعض النسوة رأسمالاً اغتنت به[6]، وورثت بعض النساء أموال أزواجهن، وهذا ما تشير إليه بعض النصوص التأريخية، فمثلاً تذكر النصوص التأريخية أن ضباعة بنت عامر بن قرط ورثت عن زوجها هوذة بن علي الحنفي مالاً كثيراً رجعت به إلى قومها[7]، وهناك إشارات واضحة إلى ميراث المرأة لأبيها أيضاً كابنتي عامر بن الظرب العدواني اللتان ورثتا أباهما بعد وفاته[8].والكثير من نساء العرب جاءت أموالهن من خلال مزاولتهن لمختلف أنواع العمل[9]، فضلاً عن الهبات والعطايا التي يمنحها الآباء لبناتهم أو الأزواج لزوجاتهم، ولعل خير مثال على ذلك ما منحه حاتم الطائي لابنته سفانة ، إذ أعطاها مجموعة من الإبل بين الحين والآخر، وكانت سفانة تهبها للناس لجودها[10].وقبل الخوض في تفاصيل الحياة الاقتصادية وأثر المرأة العربية فيها في التأريخ القديم لا بد من الإشارة إلى أن الاقتصاد العربي القديم (قبل الإسلام) كان يتألف من أنماط اقتصادية متنوعة تبعاً للظروف المتغيرة التي أملتها طبيعة الظروف البيئية والجغرافية المتباينة والمتنوعة، لما لهذه العوامل الجغرافية والبيئية من أثر بالغ في النشاط الاقتصادي، إذ إن البيئة تعد من أهم العوامل المؤثرة في النشاط الإنساني وتوجهاته وتطوراته الاقتصادية[11]، وأن الاختلاف في البيئة الطبيعية تقتضي اختلافاً في أحوال السكان ونشاطهم الاقتصادي إيجاباً أو سلباً، مما يسهل فهم المتغيرات الاقتصادية في المنطقة وأثرها على النمو الحضاري[12].ونحاول أن نعطي صورة موجزة عن الأوضاع البيئية والجغرافية لمنطقة الدراسة التي تتركز في شبه جزيرة العرب كونها مركز العرب قبل الإسلام، وتلقي دراسة الأوضاع البيئية للمنطقة الضوء على الأسباب التي أدت إلى التنوع الاقتصادي سواء كان زراعي أم تجاري أم صناعي، فتوافر الأرض الخصبة والمياه الوفيرة يؤدي إلى توجه السكان إلى الزراعة مبدئياً، في حين إن الجدب والجفاف يدفعهم إلى ممارسة مهنة أخرى تتمثل في الرعي أو التجارة، ووقوع المدن على طرق المواصلات يشجعهم على ممارسة العمل التجاري[13].

بيئة شبه جزيرة العرب:

تقع شبه الجزيرة العربية في القسم الجنوبي الغربي من القارة الآسيوية، وتقريباً بين دائرتي عرض (30-12.5) درجة شمالاً[14]، هذا الموقع أتاح لها فرصة التنوع في دوائر العرض التي انعكست تأثيراتها في تنوع الطقس، ومن ثم تنوع النشاط الزراعي بصورة خاصة والاقتصادية بصورة عامة، وعلى طرق التجارة العالمية التي تربط الشرق الأقصى والهند وأواسط آسيا وإيران بحوض البحر المتوسط وبالبحر الأحمر[15]، هذا الموقع أعطاها أهمية بالغة على الخطوط التجارية العالمية المعروفة يوم ذاك، فضلاً عن كونها قلب العالم الإسلامي، وحلقة وصل بين قارات آسيا وأفريقيا وأوربا[16]، وتحكمت في طريق التجارة العالمي المعروف سابقاً

---

[4] ابن هشام، محمد بن عبد الملك، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وآخران، القاهرة، 1955م، ج1، ص ص197-198.

[5] احمد محمد الحوفي، **المرأة في الشعر الجاهلي**، مكتبة ومطبعة نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1954م، ص151.

[6] ابن سعد، محمد(ت 230هـ/845م)، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج1، ص75.

[7] البلاذري، أبو الحسن احمد بن يحيى (ت 279هـ/892م)، **انساب الأشراف**، تحقيق: محمد حميد الله، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر، القاهرة، (د.ت)، ج1، ص460.

[8] الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1229م)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1979م)، ج4، ص11.

[9] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/869م)، **المحاسن والأضداد**، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت، (1969م)، ص167.

[10] الابشيهي، محمد بن احمد شهاب الدين احمد (ت580هـ/1184م)، **المستطرف من كل فن مستظرف**، مطبعة حجازي، ط2، القاهرة، 1953م ، ج1، ص185.

[11] عبد العزيز الدوري، **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، مطبعة المعارف، بغداد (1949م)، ص6.

[12] غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة:عادل محمد زعيتر، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1946م، ص28.

[13] عبد العزيز الدوري، **مقدمة**، ص23.

[14] محمود طه أبو العلا، **جغرافية شبه الجزيرة العربية - دراسة في الجغرافية الإقليمية**، القاهرة، 1956م، ج1، ص57.

[15] عبد العزيز الدوري، **مقدمة**، ص34.

[16] الهمداني، الحسن بن أحمد بن إبراهيم (ت350-360هـ/961-971م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص74؛ الآلوسي، محمود شكري، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، دار الكتاب العربي، ط3، القاهرة، 1342هـ، ج1، ص184 وما بعدها؛ محمود طه أبو العلا، **جغرافية**، ج1، ص12.

بـ(طريق البخور) ولقرونٍ عدة[17].وقسم الكتاب العرب بلاد شبه الجزيرة العربية على أساس الفروقات بين الأقسام الإدارية، والنواحي المتصلة بها، وبين الأقاليم المورفولوجية القائمة على أساس طبيعي، والمناخ من حيث الحرارة والرطوبة، والنبات الطبيعي، وقد أشار الشعر العربي القديم لمواضع جغرافية كثيرة يمكن في أغلب الأحوال معرفة مواقعها، مما يدل على الحس الجغرافي[18]، وتلك الأقسام هي: بلاد الحجاز وتشمل أطلق هذا الاسم على القسم الشمالي الغربي من شبه الجزيرة العربية، والممتد من معان[19] عبر رأس خليج العقبة إلى ما بين الليث[20] والقنفذة[21] على شاطئ البحر الأحمر[22]، وتكمن أهمية الحجاز في الجانبين الديني والتجاري، إذ إنها كانت قديماً جسر المواصلات بين الشمال والجنوب، تتخللها العديد من الطرق التجارية المهمة، أهمها طريق البخور القادم من أقصى اليمن إلى البتراء ثم يتفرع إلى غزة وبصرى وسيناء، التي نقلت معها ما يمكن نقله من مظاهر الحضارة بين الأقاليم التي مرت بها، وفيها تلاقت الديانات السماوية الكبرى إلى جانب الديانة الوثنية، وكان الإسلام آخر الأديان التي ظهرت فيه[23]، وضم الحجاز أهم مدن العرب قبل الإسلام وهي: (مكة ويثرب[24] وخيبر وفدك وتيماء[25] والطائف[26])[27].أما (اليمن) فتمتاز بموقع جغرافي ممتاز على طريق الملاحة العالمية منذ أقدم العصور التاريخية بين سائر أقطار الجزيرة، حيث احتلت جنوب شبه الجزيرة العربية[28]، فضلاً عن أن أرض اليمن تمتاز بتركيب جغرافي ومناخي متنوع، الأمر الذي أدى إلى تنوع منتوجاتها[29]، وتمتد تهامة من العقبة شمالاً حتى عدن جنوباً، وتهامة في الناحية الجنوبية من الحجاز التي تمتد من أقصى الجنوب إلى خليج العقبة شمالاً[30]و(نجد) من الأقاليم الواسعة، ويتكون من صحارى وقرى في وسط شبه الجزيرة العربية، أي المنطقة الواقعة شرق الحجاز إلى الدهناء والمسماة قلب الجزيرة العربية Heart of Arabia[31]، وفي رأي الجغرافيين العرب أن نجد هي الأرض العريضة، التي أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام[32]، وتتكون أراض (العروض) من مساحات مرتفعة وأخرى منخفضة، وقد ذكر (ياقوت الحموي)[33] و(الهمداني)[34] أن

---

[17] منذر عبد الكريم البكر، **دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ تاريخ الدول الجنوبية في اليمن**، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، 1980م، ص59؛ للتفصيل عن طريق البخور ينظر: هادي العمري، **طريق البخور من نجران إلى البتراء**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003م.

[18] كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، 1969م، ج1، ص40.

[19] معان وهي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص153؛ وهي بين الحجاز والشام حصن كبير على خمسة أيام من دمشق بطريق مكة. البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت487هـ/1094م)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ج4، ص1172؛ ومعان أيضاً حصن كبير من أرض فلسطين على خمسة أيام من دمشق. **المصدر نفسه**، ج1، ص241؛ وهي اليوم محافظة من محافظات المملكة الأردنية الهاشمية.

[20] الليث بكسر اللام ثم الياء ساكنة والثاء المثلثة وهو واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز. الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص28.

[21] القنفذة من مياه بني نمير عن أبي زياد. المصدر نفسه، ج4، ص408؛ وهي ببطن ذي طلوخ من أرض الشام. البكري، **معجم ما استعجم**، ج3، ص895.

[22] حافظ وهبة، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، دار الطليعة، بيروت، 1963م، ص15؛ باوزير، سعيد معوض، **معالم تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة خليفة للطباعة، عدن، 1966م، ص16.

[23] السيد عبد العزيز سالم، **دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار المعارف، الإسكندرية، 1967م، ص ص70-71.

[24] تعد يثرب (المدينة) ثاني مدينة في الحجاز بعد مكة، ترتبط بها مدن وقرى أهمها: ميناء الجار وهو ساحلها، وعلى بعد ثلاثة أميال منها، واليه ترسي مراكب التجار التي تحمل الطعام من مصر، ومع أن يثرب كانت منطقة زراعية تعتمد بالدرجة الأساس على زراعة الحبوب والنخيل، إلا أنها كانت تتواجد فيها أسواق تجارية كثيرة مثل سوق قينقاع، وسوق زبالة، وسوق النبط. الهمداني، صفة، ص84؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت292هـ/905م)، **البلدان**، النجف، 1964م، ص77؛ ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ/839م)، **الأموال**، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة، 1934م، ص8.

[25] تيماء بالفتح والمد بليد من أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق . . . وفيه قيل للفلاة تيماء لأنها يضل فيها قال ابن الأعرابي أرض واسعة وقال الأصمعي التيماء الأرض التي لا ماء فيها ولا نحو ذلك. الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص67.

[26] كانت الطائف مشتهرة بدباغة الجلود الذي يحمل منها لسائر البلدان، وفضلاً عن ذلك اشتهرت بأشجار وثمار كثيرة مثل الزبيب الذي يضرب به المثل بحسنه، ومن الطائف تنقل الفاكهة لمكة. الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت341هـ/953م)، **مسالك الممالك**، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحسني، مراجعة: محمد شفيق غربال، مطابع دار القلم، بيروت، 1961م، ص24؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، 1960م، ص98.

[27] الاصطخري، **المسالك والممالك**، ص14.

[28] عبد الوهاب عزام، **مهد العرب**، دار المعارف، مصر، 1946م، ص92.

[29] حازم علي شكري، **التوزيع الجغرافي للمراكز الحضرية في ج.ع.ي ـ دراسة تاريخية**، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد10، لسنة 1989م، ص185.

[30] الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص ص63-64؛ فؤاد حمزة، **قلب الجزيرة العربية**، الرياض، 1968م، ص18.

[31] Twitchell, K, S., **Saudi Arabia**, Princton – New Jersey, 1947, p. 6.

[32] الحربي، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم (ت285هـ/898م)، **المناسك وأماكن وطرق الحج والجزيرة**، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة ومطبعة المثنى، بيروت، (د.ت)، ص537.

[33] **معجم البلدان**، ج6، ص160.

[34] **صفة جزيرة العرب**، ص272.

أرض العروض تجمع بلاد اليمامة[35] والبحرين وما والاها، وسميت عروضاً لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق، ويحتوي إقليم العروض على مناطق زراعية خصبة تكثر فيها المياه القريب من سطح الأرض[36]، والتي تسهل عمليات الزراعة لاسيما في فصل الشتاء، بينما القسم الأكبر منه سهل صحراوي تتخلله بعض التلال المنفصلة، وتعد واحتا الإحساء والقطيف من أغنى أراض المنطقة[37].ويمكن عَد الطبيعة الصحراوية التي غلبت على المساحة الأكبر من شبه الجزيرة العربية، فضلاً عن الموقع، السبب المباشر في امتهان الكثير من العرب للتجارة، وإجادتهم فيها، وصحارى شبه جزيرة العرب تقسم إلى قسمين رئيسين: صحراء الشمال (النفوذ) وصحراء الجنوب (الدهناء).وتتنوع النباتات في الجزيرة العربية وتختلف باختلاف التضاريس والترب وكمية الأمطار، وتتركز الغابات والأحراش على سفوح الجبال، حيث تتلقى كميات وفيرة من الأمطار الشتوية والصيفية، وكلما توغلنا في الاتجاه الصحراوي تقلص الغطاء النباتي وتبعثرت بقاعه وطالت مدة نمو الشجيرات والأعشاب والحشائش[38]، وتحدثت المصادر العربية عن النباتات التي تنمو على سفوح الجبال كـ: السدر والشَوُحَط[39] والضال[40] والسَمُّر[41] والشت[42] والصرائم[43] والقان[44] والنُّشَم[45] والتألب[46] والعتُم[47] والصَّوْم[48] والنيم[49] والكَتَم[50] والظَّيَّان[51] والتين البري والعرعر[52].

ثراء المرأة العربية قبل الإسلام:-

كان للمرأة العربية في التأريخ القديم مكانة جيدة ومأثرة في الاقتصاد العربي قبل الإسلام، ويذكر (محمد بن سعد)[53] إلى رواية تشير إلى مدى ثراء بعض النسوة العرب إذ جاء فيها: ((فخرج هاشم في عير لقريش فيها تجارات وكان طريقهم على المدينة فنزلوا بسوق النبط فصادفوا سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون لها فباعوا واشتروا ونظروا إلى امرأة على موضع مشرف من السوق فرأى امرأة تأمر بما يشترى ويباع لها فرأى امرأة حازمة جلدة مع جمال فسأل هاشم عنها أأيم هي أم ذات زوج فقيل له أيم كانت تحت أحيحة بن الجلاح فولدت له عمراً ومعبداً ثم فارقها وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها فإذا كرهت رجلاً فارقته وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار فخطبها هاشم فعرفت شرفه ونسبه فزوجته نفسها))، وهذه الرواية لا تشير إلى مدى ثراء هذه المرأة حسب وإنما تشير وبوضوح إلى أن المرأة العربية قبل الإسلام كان لها رأي في اختيار زوجها، وأنها كانت ذات نفوذ كبير في قومها، بل أنها اشترط على أن تكون العصمة بيدها لا بيد الزوج كما هو متعارف عليه وهناك إشارات إلى ثراء المرأة العربية لعل في مقدمتها ما ذكرته المصادر التأريخية إلى تقديم نتيلة بنت جناب بن كليب زوجة عبد المطلب مائة من الإبل لمن يأتيها بابنها الذي ضاع منها في موسم الحج، ونذرت أن تكسوا الكعبة ثياباً إذا وجدته، وبالفعل وجده رجل من جذام

---

[35] اسمها القديم (جوا)، وهي على شكل مستطيل مع ساحل البحر. الحموي، **معجم البلدان**، ج8، ص521؛ وسميت باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم. الآلوسي، **بلوغ الإرب**، ج1، ص197؛ وتقع جنوب شرق نجد وشمال الربع الخالي. منذر عبد الكريم البكر، **دراسات**، ص73.

[36] عبد الوهاب عزام، **مهد العرب**، ص85.

[37] حافظ وهبة، **جزيرة العرب**، ص62.

[38] برهان الدين دلو، **جزيرة العرب قبل الإسلام**، دار الفارابي، بيروت، 1989م، ص46.

[39] نبات تتخذ منه القسي. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ/895م)، **كتاب النبات**، باعتناء: محمد خير الله، بلا، (د.ت)، ج2، ص73.

[40] شجرة تنبت في السهول والوعور تتخذ منه القسي. **المصدر نفسه**، ج2، ص93.

[41] شجرة ورقها صغير وشوكها قصير، تستعمل في تغطية البيوت. **المصدر نفسه**، ج2، ص46.

[42] شجرة شجر ينبت في الجبل والسهل، طيب الرائحة مر الطعم، تخصب عليه الإبل ويدبغ بها. **المصدر نفسه**، ج2، ص63.

[43] شجرة تعمل منها البيوت. **المصدر نفسه**، ج3، ص112.

[44] شجر ينمو في الجبال تتخذ منه القسي. **المصدر نفسه**، ج2، ص196.

[45] شجر ينمو في الجبال تتخذ منه القسي أيضاً. **المصدر نفسه**، ج2، ص325.

[46] شجر له عناقيد، فإذا أدرك وجف، اعتصر للمصابيح، وهو أجود لها من الزيت. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت485هـ/1092م)، **المخصص**، دار الفكر، بيروت، 1987م، ج11، ص142.

[47] شجرة الزيتون الجبلي، ينتفع به للدواء لا للطعام، ومساويكه جيدة. الدينوري، **كتاب النبات**، ج2، ص123.

[48] شجر ينبت نبات الأثل، لا ورق له، إنما هو هدب. الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب(ت216هـ/831م)، **كتاب النبات والشجر**، باعتناء: أوغست هفنر، بلا، (د.ت)، ص14.

[49] شجر عال منابته الجبال، له شوك لين وورق صغار وله حب كثير متفرق أشبه بالحمص، أخضر حامض، فإذا أينع اسود وحلا، وهو يأكل. ابن سيدة، **المخصص**، ج11، ص147.

[50] شجر ينمو في الشواهق، يجفف ورقه ويدق ويخلط بالحناء، ويخضب به الشعر فيسود لونه ويقويه. الدينوري، **كتاب النبات**، ج2، ص232.

[51] ياسمين البر، دهنه الزنبق، وزعم أنه يدهن بورقه. **المصدر نفسه**، ج2، ص117.

[52] وهو السرو. الأصمعي، **كتاب النبات والشجر**، ص43؛ وقيل أنه شجر ينمو في الجبال، وله ورش تصبغ به الثياب. الدينوري، **كتاب النبات**، ج2، ص128-129.

[53] **الطبقات الكبرى**، ج1، ص ص78-79.

فوفت بنذرها، وكانت أول امرأة تكسوا الكعبة ثياباً[54]، وهذه إشارة واضحة إلى مدى ثراء ومكانة المرأة العربية قبل الإسلام، بل أن هذا النص يشير وبوضوح إلى أن كلمة المرأة العربية في تلك الحقبة كانت مسموعة ومأثرة ولها ثقلها في المجتمع العربي. وأشارت المصادر العربية إلى أن نساء عربيات أخريات كُنَّ ثريات أيضاً شاركن في التجارة من خلال اشتراكهن في تمويل القوافل التجارية، وهذا ما يشير إليه النصوص التأريخية التي ذكرت حادثة اعتراض المسلمين لقافلة قريش القادمة بقيادة أبي سفيان بن حرب في سنة 2 هـ، تلك الحادثة التي كانت سبباً في معركة بدر، وذكر ما نصه: ((لم يكن قرشي ولا قرشية له نش[55] فصاعداً إلا وقد بعث به في تلك القافلة))[56]، وتشير نصوص أخرى إلى مدى ثراء بعض النساء المكيات كتلك النصوص التي ذكرت أن أكثر من واحدة من المكيات كن مستعدات لدفع مائة من الإبل لمن يأتيها بالرسول محمد ✕ وأبي بكر الصديق ﷺ، وكان ذلك في أثناء هجرتهما إلى المدينة المنورة[57]، وهذه الكمية من الإبل تعد كبيرة في تلك المدة لاسيما وأن اللواتي عرضنها كن من النساء.

وهناك إشارات أخرى إلى غنى المرأة العربية وامتلاكها للقرار الشخصي، إذ ورد أيضاً أن عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي محمد ✕ مر بامرأة ذات علم وفراسة، فرأت في وجهه نوراً، فدعته إلى أن يستبضع منها وتعطيه مائة من الإبل، فلم يوافق على طلبها، والمرأة هي كاظمة بنت مر، وكانت متهودة قد قرأت الكتب، وقيل هي أخت ورقة بن نوفل[58]وكانت سلافة بنت سعد بن الشهيد من أثرياء قريش أيضاً إذ ورد أنها نذرت مائة ناقة لمن يأتيها برأس عاصم بن ثابت الأنصاري ﷺ لأنه كان قد قتل اثنين من أبنائها (الحارث ومسافع) في معركة بدر الكبرى سنة 2 هـ [59].ويذكر (الطبري)[60] رواية تشير إلى مدى ثراء المكيات، إذ يقول: ((أن رسول الله ✕ حين أقبل بالأسارى فرقهم في أصحابه وقال استوصوا بالأسارى خيرا قال وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى قال فقال أبو عزيز مر بى أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها أن تفتديه منك))، وهكذا نجد أن من غير المستبعد اشتراك المرأة العربية لاسيما المكيات برفد التجارة بالأموال بغية تحقيق الربح.

أثر المرأة العربية في التجارة قبل الإسلام:-

وكان للمرأة العربية إسهام واضح في التجارة قبل الإسلام، إذ عملت المرأة العربية في التجارة التي درت عليها الكثير من الأموال، وكان من الطبيعي أن تبرز نساء امتهن التجارة في مجتمع تجاري كالمجتمع العربي لاسيما مجتمع وسط شبه جزيرة العرب، إذ كانت التجارة المهنة الرئيسة لهذا للمجتمعات المتمدنة في هذه المنطقة، فظهرت العديد من التاجرات الثريات اللواتي أسهمن مساهمة فاعلة في التجارة، لاسيما في مكة، وتعد خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ﷺفي مقدمة النساء اللواتي برزن في التجارة، وتشير المصادر التأريخية[61] إلى أنها كانت تاجرة ذات شرف ومال كثير تستأجر الرجال في مالها تضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه وكانت قريش قوما تجاراً، بل أن خديجة كانت ذات عقلية تجارية بدليل أنها تختار من تراه مناسباً لقيادة تجارتها، وقد اختارت الرسول ✕ لما بلغها عنه من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في تجارتها إلى بلاد الشام بصفته تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، وهذا منتهى الذكاء الاقتصادي، إذ أنها لم تستعمله على التجارة بصفته مؤتمن فقط

---

[54] كان ذلك الابن، وان نتيلة بنت جناب كست البيت الحرير والديباج. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد ﷺ يشار إلى أن العباس بن عبد المطلب (). بن إسماعيل (ت 429هـ/1038م)، **لطائف المعارف**، تحقيق: إبراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي، بلا، (د.ت)، ص11

[55] النش = نصف أوقية، والنصف أوقية = 20 درهماً. الجوهري، إسماعيل بن حمادة، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد بن عبد (). الغفور عطار، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ، ج3، ص1021

[56] الواقدي، محمد بن عمر (ت207هـ/823م)، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، (د.ت)، ج1، ص41 ()

[57] تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح ،✕ ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي (ت151هـ/768م)، **سيرة النبي** () وأولاده، مصر، 1383هـ، ج2، ص336؛ ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ/1373م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ، ج7، ص169.

[58] ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ت606هـ/1210م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مؤسسة () إسماعيليان، ط4، إيران، 1364ش، ج5، ص ص77-78.

[59] الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/923م)، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ، ج2، ص ص214-215؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج4، ص74.

[60] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، ص ص157-158 ()

[61] ابن هشام : **السيرة النبوية**، ج1، ص ص197-198؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت292هـ/905م)، **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج2، ص20؛ الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، ص ص280-281؛ ابن الأثير، عز الدين بن الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1233م) ، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، بلا، (د.ت)، ج7، ص80.

وإنما جعلته تاجراً يتاجر بحسب توجيهاتها، أما إرسالها لميسرة فكان يعينه في خبراته على اعتبار أن الرسول ﷺ كان حديث العهد بالتجارة، وإذا كان الرسول ﷺ حديث العهد في التجارة كما هو معروف فلماذا ترسله خديجة بصفته تاجراً؟، وللإجابة عن هذا السؤال نقول أن الرسول سبق وأن خرج مع عمه أبو طالب ﷺ في تجارة إلى الشام في قصته المعروفة مع الكاهن بحيرا مع أن عمره كان صغيراً لا يتجاوز التسع سنوات[62]، إلا أن الفطنة والذكاء والمواهب التي منحها الله إلى الرسول ﷺ كانت كفيلة بنجاحه في المهمة التي أوكلتها له خديجة، ويبدو أن خديجة انتبهت إلى مواهب الرسول ﷺ وإمكاناته، لذلك وثقت به تاجراً ينجح في مهمته، وهذا ما كان بالفعل.
وعملت المرأة العربية في خدمة القوافل التجارية لاسيما في المحطات والمراكز التجارية والأراضي التي تمر بها تلك القوافل، إذ ورد أن رسول الله ﷺ مر في أثناء هجرته من مكة إلى المدينة بخيمة أم معبد الخزاعية ﷺ، وكانت امرأة تجلس بفناء الخيمة تبيع الطعام للمارة[63].وكان في سوق عكاظ إمرأة تمارس التجارة وبيع البضائع المختلفة، وتشير المصادر إلى أن هذه المرأة كانت تبيع القدور في هذا السوق[64]، ويذكر أبو الفرج الأصبهاني أيضاً أن عبلة بنت عبيد بن جادل وهي (أم قبيلة) من قريش (يقال لهم العبلات) باعت السمن في سوق عكاظ[65].

كما يأتي ذكر (ذات النحيين) وهي امرأة من تيم الله بن ثلعبة كانت تبيع السمن في الجاهلية، ويبدو من خلال الروايات التأريخية أنها كانت عملية جداً لدرجة أن ضرب بها المثل فقيل: (أشغل من ذات النحيين)[66].
وحملت أشعار العرب قبل الإسلام الكثير من الإشارات إلى قيام المرأة العربية بعمليات البيع والشراء، وتنوعت البضائع التي تاجرت بها النساء العربيات على ما ورد في شعر هذه الحقبة، فنجد فيها إشارة إلى امرأة من خزاعة اسمها (منشم) كانت تبيع العطر والطيب، وكان الناس يشترونه منها لتعطير الموتى، وقد عرف العطر الذي تبيعه بـ(عطر منشم)، ثم أصبح هذا الاسم كنية تطلق على الحرب إذا اشتدت، قال الشاعر[67]:

أتاني الذي لا يقدر الناس قدره لزينب فيهم من عقوق ومأثم
وإخراجها لم يخز فيها محمد على مأقط وبيننا عطر منشم.

وفي شعر للنابغة الذبياني يسوق إلينا مثلين لامرأتين مارستا عملية البيع والشراء، فجاء في شعرٍ ينسب إليه ذكر لامرأة تبيع وتشتري الجلود في سوق ذي المجاز، إذ يقول[68]:-

كادت تســاقطني رحلي وميثرتي بذي المجاز ولم تحسس به نغما
من قول حرمية[69] قالت وقد ظعنوا هل في مخفيكم من يشتري أدما؟

ويشير النابغة الذبياني في بيت ثاني إلى امرأة تبيع القدور المصنوعة من الحجارة والتي تعرف باسم (البرم) قائلاً[70]:-

ليست من السود أعقاباً إذا انصرفت ولا تبيع بأعلى نخلة[71] البرما[72]

---

[62] () في ركب من قريش إلى الشام تاجراً فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا ﷺ يشير الطبري إلى خروج أبا طالب ورسول الله وهو في صومعته عليه غمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة ﷺ في صومعة له وكان ذا علم من أهل النصرانية، ورأى رسول الله حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته ﷺ بالقرب منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وأظلت أغصان الشجرة على رسول الله عن أشياء في حاله في يقظته وفى ﷺ ونظر إلى أشياء من جسده، فلما فرغوا من الطعام وتفرقوا سأل رسول ﷺ ودعاهم جميعاً، وراقب بحيرا رسول الله فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفات النبوة، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه أسفل غضروف كتفه مثل ،ﷺ نومه فأجابه رسول الله التفاحة، ثم قال بحيرا لعمه أبى طالب ما هذا الغلام منك قال ابني فقال له بحيرا ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال فإنه ابن أخي قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به، قال صدقت ارجع به إلى بلدك واحذر عليه من اليهود فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن له شأن عظيم فأسرع به إلى بلده، فخرج به عمه سريعاً حتى عاد به إلى مكة. (**تاريخ الأمم والملوك**، ج2، ص32).

[63] () الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/923م)، **المنتخب من ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1939م، ص75.

[64] () أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت365هـ/976م)، **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامس، بيروت، 1988م، ج2، ص321.

[65] () الزبيدي، محب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت1205هـ/1791م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ج8، ص4.

[66] () ابن السكيت الاهوازي، أبو يوسف يعقوب (ت243هـ/857م) ، **ترتيب إصلاح المنطق**، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية، مشهد، 1412هـ، ص161؛ الجوهري، **الصحاح**، ج6، ص2504.

[67] () ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج3، ص400.

[68] () ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ/1312م)، **لسان العرب**، نشر أدب الحوزة، قم، 1405هـ، ج21، ص121.

[69] () حرمية: منسوبة إلى أهل الحرم، يقال: رجل حرمي، إذا كان من أهل الحرم. الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت942هـ/1536م)، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج4، ص289.

[70] () ابن منظور، **لسان العرب**، ج21، ص45.

[71] () نخلة: واد من الحجاز بينه وبين مكة مسيرة ليلتين إحدى الليلتين من نخلة يجتمع بها حاج اليمن وأهل نجد ، ومن جاء من قبل الخط وعمان وهجر ويبرين فيجتمع حاجهم بالوباءة وهي أعلى نخلة وهي تسمى نخلة اليمانية وتسمى النخلة الأخرى الشامية وهي ذات عرق التي تسمى ذات عرق، وأما أعلى نخلة ذات عرق وهي كثيرة النخل وأسفلها بستان ابن عامر وذات عرق التي يعلوها طريق البصرة وطريق الكوفة. ﷺ عرق فهي لبني سعد بن بكر الذين أرضعوا رسول الله الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص278.

[72] () ويذكر البكري أن (البرما) في هذا البيت يقصد به ثمر الاراك. **معجم ما استعجم**، ج4، ص1304.

وباعت بعض النساء الخبز الذي كُنَّ يصنعنه، واشتهر بعضهن بهذه المهنة لدرجة أن ضرب بها المثل، إذ قيل: ((أشأم من رغيف الحولاء))، والحولاء كانت خبازة في بني سعد بن زيد مناة، ومرد شأمهم لم يكن من جودة رغيفها بل لأن رجلاً تناول من رأسها رغيفاً فعدته إهانة للرجل الذي كانت في جواره فتصارع الحيان ودارت بينها سجالات ومعارك قتل من جراءها عدد كبير من الطرفين[73].وكان للعرب قبل الإسلام إماء بغايا، إذ كن موامس يمارسن البغاء من أجل المال[74]، وعملت بعض النسوة العربيات في بيوت الدعارة في أسواق العرب، فيشير (البغدادي)[75] إلى أن: ((في سوق دومة الجندل وهى فيما بين الشام والحجاز وقيامها في أول يوم من شهر ربيع الأول إلى النصف منه ... وكان لكلب فيها قن كثير في بيوت شعر فكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء))، إلا أن الواضح من هذه الرواية هي أن النساء في هذه الحالة كُنَّ مكرهات على ممارسة البغاء ولم يكن الأمر برضاهن أو اختيارهن.

أثر المرأة العربية في الزراعة والرعي قبل الإسلام:-

كان من نتائج بيئة وجغرافية شبه جزيرة العرب على النحو الذي ذكرناه آنفاً أن انتشرت فيها مهنة الرعي لأن أرضهم لم تكن صالحة للزراعة بسبب قلة المياه، لاسيما في وسط شبه جزيرة العرب، إذ لم يكن في هذه المنطقة نهر واحد بالمعنى الصحيح، كما أن الأمطار تقل فيها بشكل ملحوظ، وكل ما كان هناك هو بعض الينابيع، التي كانت تظهر في الشتاء وتجف في الصيف، فيرحلون عنها بحثا عن غيرها، هذا عدا عن أن الأرض نفسها كان فيها القليل مما يصلح للزراعة[76].

وظهرت بعض الأسر التي امتهنت الزراعة في المناطق الصالحة للزراعة، وكان من الطبيعي أن يقع على النساء بعض أعباء الزراعة، مع ضرورة الإشارة إلى أن بعض النسوة امتلكن أراضٍ زراعية في أكثر من منطقة في شبه جزيرة العرب، وهناك إشارات إلى امتلاك النساء في يثرب لأراضٍ زراعية غالبيتهن من اليهوديات، إذ عُدَّتْ الزراعة بمثابة العمود الفقري للاقتصاد بالنسبة لأهل يثرب[77]، وهناك إشارات أيضاً إلى سعة الأراضي الزراعية التي امتلكتها بعض النساء بدليل شراءهن للعبيد لاستعمالهم على أراضيهن[78]، في حين كُنَّ بعض النساء يباشرن العمل في أراضيهن بأنفسهن[79].وكن بعض النسوة يعملن في مهنة الرعي، إذ يشير جرير في بيت من الشعر إلى امرأة على أنها كانت راعية فيقول[80]:-

ترى العبس الحولى جونا بكوعها لها مسكا من غير عاج ولا ذبل

ويبدو أن هذه المهنة كانت مختصة بالإماء لأن الأعمال الوضيعة أو التي فيها مشقة كانت توكل للإماء، والرعي من ضمن هذه الأعمال، إذ يشير زهير بن أبي إلى ذلك بقوله[81]:-

رد القيان[82] جمال الحي فاحتملوا إلى الظهيرة أمر بينهم لبك

ويشير ذو الإصبع العدواني إلى احتقار أو دنو منزلة الراعية بنفيه أن تكون أمه راعية، إذ يقول[83]:-

اذهب إليك فما أمي براعية ترعى المخاض ولا أغضي على الهون

لذلك عمدت بعض النسوة العربيات ممن يمتلكن الماشية إلى شراء العبيد ليعملوا في رعي إبلهن، ويذكر (الجاحظ)[84] أن فاقرة زوجة مرة الأسدي كان لها عبد حبشي يتولى رعي إبلها. وكان لممارسة المرأة مهنة الرعي أثر في زيادة خبرتهن بالمراعي وأنواع المواشي والتمييز بين الجيد من الرديء منها، ومن بين أشهر

---

[73] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ/1038م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1965م، ص310.

[74] ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، ج4، ص238؛ وكانت للموامس إشارة خاصة تأذن فيها لمن يقصدها بالدخول عليها، والإشارة هي سعالها، إذ يذكر الأزهري: قيل للبغي قحبة، لأنها كانت في الجاهلية تؤذن طلابها بقحابها. ابن منظور، **لسان العرب**، ج1، ص661؛ الزبيدي، **تاج العروس**، ج1، ص421.

[75] ابن حبيب، محمد (ت245هـ/859م)، **المحبر**، بلا، (د.ت)، ص263.

[76] ط4، دار الهادي، بيروت، 1415هـ، ج2، ص207 ، ✕ السيد جعفر مرتضى العاملي، **الصحيح من سيرة النبي الأعظم**.

[77] السيد جعفر مرتضى، **الصحيح من سيرة**، ج9، ص21.

[78] ابن شبة، **تاريخ المدينة المنورة**، ج1، ص174.

[79] ابن طيفور، **بلاغات النساء**، ص ص83-84؛ السيد جعفر مرتضى، **الصحيح من سيرة**، ج9، ص21.

[80] ابن سلام، أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ/839م)، **غريب الحديث**، تحقيق: محمد عبد المعين خان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1964م، ج3، ص10.

[81] الفراهيدي، أبي عبد الرحمن بن أحمد (ت175هـ/792م)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدى المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط2، مطبعة الصدر، إيران، 1410هـ، ج5، ص377.

[82] القيان جمع قينة، وهي الأَمة مغنية كانت أم غير مغنية. الجوهري، **الصحاح**، ج6، ص2186.

[83] ابن منظور، **لسان العرب**، ج31، ص439.

[84] الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص167.

النساء اللاتي تميزن بهذا المجال هي هند بنت الخس الأيادية، إذ قال (الجاحظ)[85] في وصفها: ((من أهل الدهاء والنكراء واللسن واللقن والجواب العجيب والكلام الصحيح والأمثال السائرة والمخارج العجيبة ... وتلقب بالزرقاء))، وكان أبوها يسألها عن الصفات الواجب توافرها في الفحل الجيد لأنه يروم شراء واحد لإبله. وامتهنت بعض البدويات جمع بعض النباتات الطبيعية التي تنبت في البادية والتي تستخدم لعلاج بعض الأمراض، ويذهبن بهذه النباتات الطبيعية إلى مراكز المدن[86]، ويشير (الأصفهاني)[87] إلى قيام بعض الإماء بمشاركة سيداتهن أحياناً بجني ثمرة الكمأة التي تنبت طبيعياً في البادية في أوقات معينة من السنة. ومن الأعمال الأخرى التي امتهنتها المرأة العربية قبيل الإسلام لاسيما الإماء منهن قيامهن بأعمال حلب الأنعام[88]، وعملت بعض النسوة في البادية بمهنة جمع الحطب، وكُنَّ بعض البدويات بجمعنَ البعر والذي كان يستخدم كحطب ويبعنه في الأسواق[89]، وأنشد ابن الأعرابي قائلاً[90]:

كأما يحتطبن على قتاد ويستضككن عن حب الغمام

أثر المرأة العربية في الحرف قبل الإسلام:-

على الرغم من نظرة الازدراء التي كان ينظر بها إلى العمل في الحرف بسبب عدم توفر المواد الأولية الداخلة في الصناعة ولا الظروف المساعدة على قيام الحرف[91]، فضلاً عن كون الصناعة من حرف العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس وبسبب كون الصناعة تتطلب الاستقرار والخضوع للسلطة والتملق للمشترين وكلها أمور تتناقض مع نظرة البدوي للحياة[92]، إلا أن المرأة العربية لم تستنكف من العمل في الصناعة من أجل كسب قوتها وتوفير المال اللازم الذي يلبي احتياجاتها، بل أن بعض النسوة برعن في تصنيع بعض المواد المهمة في حياة الإنسان يوم ذاك، وسميت بعض المواد المصنعة نسبة إلى المرأة التي اشتهرت بصناعتها له، ومنها (الرمح الرديني) الذي سمي نسبة إلى اسم امرأة كانت تصنع الرماح الجيدة قبل الإسلام، وهذه إشارة واضحة إلى إجادة المرأة العربية قبل الإسلام للصناعة[93].وكانت الإماء أكثر من عمل في الحرف، وهذا يعود إلى أن الأعمال الشاقة كانت توكل في كثير من الأحيان إلى الإماء، ومن الأعمال التي قامت بها الإماء هي قيامها بطحن الحبوب[94].

وأشار القرآن الكريم إلى قيام المرأة بالحرف لاسيما حرفة الحياكة، وجاء ذلك في قوله تعالى[95]: ﴿وَكَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾، وهي امرأة حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار واسمها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة[96].وفي تفسير للآية[97]: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ إشارة إلى عمل النساء اليمنيات في غزل النسيج، إذ يذكر (الصالحي الشامي)[98] في تفسيره لهذه الآية قائلاً: ((وتخرج المرأة وعلى رأسها مكتلها فتعمل بمغزلها وتسير بين ذلك الشجر فيمتلئ مما يتساقط من الثمر))، وفي إشارة أخرى وردت عند (الأزرقي)[99] ذكر ما نصه: ((فلم تكن نساؤهم ينسجن ولا يغزلن الشعر ولا يسلأن السمن إذا احرموا))، ويقصد هنا (نساء الحمس[100]) اللواتي كُنَّ يمتَنِعْنَ عن أعمال الغزل والنسيج في الأشهر الحرم، وفي (يثرب) كانت صناعة النسيج تمارسها بعض النسوة على نطاق ضيق في

---

[85] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/869م)، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بغداد، 1961م، ص285؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ج8، ص97.

[86] ابن الأثير، النهاية، مادة قلت، ج4، ص98.

[87] الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت : 356هـ/967م)، الأغاني، بيروت، (د.ت)، ج11، ص72.

[88] المصدر نفسه، ج11، ص94.

[89] ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج8، ص141؛ الثعالبي، **ثمار القلوب**، ص356؛ ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى (ت743هـ/1343م)، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، 1356هـ، ج2، ص310.

[90] ابن منظور، **لسان العرب**، ج31، ص32.

[91] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت، 1977م، ج4، ص279.

[92] نجمان ياسين، **تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين**، موصل، 1988م، ص47.

[93] السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/1167م)، **الأنساب**، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، 1408هـ، ج3، ص55.

[94] ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج8، ص255.

[95] **سورة النحل، الآية 92**.

[96] الطبرسي، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن (ت560هـ/1165م)، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، بيروت، (د.ت)، ج6، ص194.

[97] **سورة سبأ، الآية 92**.

[98] **سبل الهدى والرشاد**، ج3، ص282.

[99] أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت 244هـ/859م)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، مطابع ماتيو كرومو، مدريد، (د.ت)، ج1، ص180.

[100] الحمس: مصطلح يطلق على المتشددين في الدين من أهل مكة. البغدادي، **المحبر**، ص179.

البيوت([101]).ويشير (جندل بن المثنى الطهوي)[102] إلى نساء كُنَّ مختصات بأعمال الغزل في وصفه القطن اللين وتشبيهه بالثلج قائلاً:-

والآن في كل مراد هو جل كأنه بالصحصحان الأنجل

قطن سخام بأيدي غزل

ويشير (النابغة الذبياني) إلى قيام بعض النساء بنسج الحصير، والحصير هنا من نوع (القضيم) وهو حصير منسوج وخيوطه سيور بلغة أهل الحجاز[103]، قائلاً:-

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وإذ العام سابع

رماد ككحل العين ما إن تبينه ونؤى كجذم الحوض أثلم خاشع

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه قضيم نمقته الصوانع

على ظهر مبناة جديد سيورها يطوف بها وسط اللطيمة بائع

كما عملت المرأة بدباغة الجلود، إذ وردت إشارة عند (ابن سعد)[104] إلى أن الفارعة أخت الشاعر أمية بن أبي الصلت الثقفي كانت تعمل في دباغة الجلود، وكانت جميلة وذات عقل وتحفظ بعضاً من شعر أخيها. وكان لبعض نساء العرب أثر في مهنة الطب والتمريض ومعالجة الجروح وقابلات[105] وخافضات[106]، ويشير (ابن رستة)[107] إلى سيدة عربية اسمها زينب كانت مشهورة بين العرب بعلاج العين وجراحاتها، وكانت طبيبة عند بني أود، ويبدو أن كثرة الذباب في بعض مدن شبه جزيرة العرب كمكة مثلاً بسبب مناخها الشديد الحرارة أدى إلى كثرة وجود فاقدي البصر، وورد أن رجلاً من الأعراب قال: ((أتيت امرأة من بني أود تكحلني من رمد كان قد أصابني فكحلتني ثم قالت: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر:

أمغترمي ريب المنون ولم أزر طبيب بني أود على النأي زينبا

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر، قلت: لا، قالت: في والله قيل، وأنا زينب التي عناها وأنا طبيبة بني أود، أفتدري من الشاعر قلت: لا، قالت: عمك أبو سماك الأسدي))[108].

ويشير قيس بن الخطيم إلى قيام النساء بمعالجة جراح الرجال في القتال بقوله[109]:-

يهون عليّ أن ترد جراحها عيون الاواسي إذ حمدت بلاءها

ومن الخافضات أم انمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى وكانت خاتنة بمكة، وهي التي قتل الحمزة بن عبد المطلب ﷺ ابنها سباع في معركة بدر سنة 2هـ[110].

وعملت بعض النسوة العربيات لاسيما في وسط شبه جزيرة العرب في إرضاع الأطفال في المدن، ولعل خير مثال على ذلك ما ذكرته المصادر عن المرضعات في أثناء حديثها عن رضاعة الرسول ﷺ[111].

ومن النساء العربيات من عملن بالكهانة، واشتهر من الكاهنات: كاهنة ذي الخلصة والكاهنة السعدية والكاهنة الشعثاء والزرقاء بنت زهير وطريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر، وكان يلتحق ببعضهن بغايا أيضاً[112].

---

[101] ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج1، ص454 ().

[102] الزبيدي، **تاج العروس**، ج10، ص43 ().

[103] ابن منظور، **لسان العرب**، ج21، ص488 ().

[104] **الطبقات الكبرى**، ج1، ص131 ().

[105] القابلة هي المولدة. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، ج5، ص225 ().

[106] الخافضة: الخاتنة، وهي مختصة بختن الفتيات. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (817هـ/1414م)، **القاموس المحيط**، مطبعة السعادة، مصر، (د.ت)، ج3، ص202 ().

[107] ابن رستة، أبو علي احمد بن عمر (ت310هـ/923م)، **الأعلاق النفسية**، مطبعة بريل، ليدن، 1891م، ص224 ().

[108] () ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم الخزرجي، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ج2، ص35؛ أحمد عيسى بيك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص7.

[109] ابن الخطيم، أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي، **الديوان**، تحقيق: ناصر الدين الأسد، القاهرة، 1962م، ص9 ().

[110] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، ص199 ().

[111] ابن كثير، **السيرة النبوية**، ج1، ص225 ().

[112] امحمد هادي اليوسفي، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مطبعة الهادي، قم، 1417هـ، ج1، ص120 ().

وعملت المرأة العربية قبل الإسلام كماشطة[113] ومقينة[114]، ومن أشهر النساء اللواتي عملنَّ في هذه المهنة هي أم زفر التي كانت ماشطة لخديجة بنت خويلد[115]، وآمنة بنت عفان أخت عثمان بن عفان [116].وكُنَّ بعض النسوة العربيات (قياناً)[117]، إذ اشتهرت بعض نساء العرب بالغناء وبالعزف على آلات الطرب كالطنبور والعود ونحوه[118]، ويطلق على من تجيد الغناء اسم (رنم)[119]، وحدد (ابن عبد ربه)[120] أماكن القيان المغنيات بما يلي: ((إنما كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب))، وتشير المصادر التاريخية إلى مرافقة القيان لجيوش العرب في معاركهم كما حصل في معركة بدر وأحد[121]، وعملت بعض المغنيات في قصور ملوك وأمراء العرب، ومنها مجالس الغناء التي أقيمت في قصر ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم، ووصف حسان بن ثابت الذي كان حاضراً في هذا القصر قبل الإسلام هذه المجالس قائلاً: ((لقد رأيت عشر قيان خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط[122] وخمس يغنين غناء أهل الحيرة وأهداهن إليه إياس بن قبيصة وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها))[123]، إلا أن الجدير بالذكر أن المغنيات اللواتي عملن في مثل هذه الأماكن لم يَكُنَّ من العرب فقط بل كُنَّ من أجناس شتى، إذ يشير الأعشى إلى قيان كُنَّ من أصول تركية وكابلية فيقول[124]:-

ولقد شربت الخمر تركض حولنـا ترك وكـابل

كدم الذبيح غريبـــة مما يعتـق أهل بابل

ويشير (ابن منظور) إلى قينة (مغنية) كانت في الحيرة تدعى (ابنة عفزر)، وكانت مشهورة وكانت وفود النعمان تلهوا بها عند قدومهم للحيرة[125]، أي أنها كانت تغني لضيوف النعمان بن المنذر، وقال لبيد راثياً النعمان بن المنذر[126]:

ليبك على النعمان شرب وقينة ومختبطات كالسعالى أرامل

وفي رواية لـ(الصالحي الشامي)[127] إشارة إلى المغنيات في قصور الملوك، إذ يذكر أن أكيدر بن عبد الملك كان نصرانياً من كندة كان يصعد ليلاً إلى سطح حصنه في دومة الجندل من شدة الحر ومعه امرأته الرباب بنت أنيف بن عامر الكندية ومعهما أيضاً قينة تغنيه.

ولم يقتصر عمل المغنيات على قصور الملوك والأمراء بل أن منهن من عمل في الحانات التي يقصدها طلاب الشرب واللذة والسماع، ويصف الكثير من الشعراء العرب لمغنيات وراقصات هذه الحانات وما يدور فيها من طرب ولهو ومجون، إذ ذكر طرفة بن العبد يصف إحدى المغنيات قائلاً[128]:-

نداماي بيض كالنجوم وقينـة تروح علينا بين برد ومجسد

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشـم في ظاهر اليد

---

[113] الماشطة: اسم فاعل من مشط الشعر يمشطه ويمشطه بضم المعجمة وكسرها مشطا سرحه، والتثقيل مبالغة. الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج3، ص160.

[114] مقينة: أي مزينة، وهي التي تقوم بتزيين النساء لاسيما العرائس منهن. الجوهري، **الصحاح**، ج6، ص2186؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج31، ص351.

[115] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج6، ص326.

[116] ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1448م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، القاهرة، 1328هـ، ج4، ص225.

[117] تحقيق: علي أكبر الغفاري، ، ✕ أي مغنيات ومفردها قينة وهي المغنية. ابن شعبة الحراني (ت قرن4هـ/قرن 10م)، **تحف العقول عن آل الرسول**، ط2، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1404هـ، ص53.

[118] **المصدر نفسه**، ص53.

[119] ابن منظور، **لسان العرب**، ج12، ص257.

[120] ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت328هـ/940م)، **العقد الفريد**، تحقيق: محمد سعيد العريان، بلا، (د.ت)، مجلد4، ج7، ص23-24.

[121] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، ص143.

[122] البربط ملهاة تشبه العود، وهو فارسي معرب وأصله بربت، لأن الضارب به يضعه على صدره، واسم الصدر: بر. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، ج1، ص112.

[123] الاصفهاني، **الأغاني**، ج17، ص166.

[124] الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص426.

[125] ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص591.

[126] الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص226.

[127] **سبل الهدى والإرشاد**، ج6، ص220.

[128] الأستراباذي (ت688هـ/1289م)، **شرح الرضي على الكافية**، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ليبيا، 1978م، ج2، ص235.

وشاركت المغنيات في مناسبات الفرح كمغنيات، إذ أحيت المغنيات حفلات الزواج التي كان يقيمها أهل مكة بالغناء وبالضرب على الدفوف والعزف بالمزامير[129]، فضلاً عن مشاركتهنَّ في مناسبات الحزن كنائحات، إذ احترفت بعض المغنيات النياحة على الأموات لعذوبة أصواتهن وتأثيرها في هذه المناسبة، وتذكر الخنساء إحدى النائحات قبل الإسلام بقولها[130]:-

فنساؤنا يندبن نوحاً بعد هادية النوائح

وعرفت بعض النسوة حرفة البناء وصناعة الآجر (الطابوق) من الطين، فضلاً عن براعة بعض النسوة في تخطيط المباني وفق القواعد الصحيحة في بناء الأساس وصف الطابوق([131]).

الهوامش والمصادر

[129] الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس (ت275هـ/888م)، **المنتقى في أخبار أم القرى**، بيروت، 1964م، ص7 ().

[130] الخنساء، تماضر بنت عمرو الشريد السلمية، **الديوان**، بيروت، (د.ت)، ص24 ().

[131] الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد، **التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة والمسمى بنظام الحكومة النبوية**، بيروت، (د.ت)، ج2، ص75 ().